شرح قصيدة الفرزدق في مدح زين العابدين

إعداد: قاضي أ. ب. محمد مكين

مناسبة القصيدة

قيلت القصيدة في مدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذلك أثناء قيام هشام بن عبد الملك بالحجّ وسعيه جاهداً للوصول إلى الحجر الأسود ولكنّه لم يستطع الوصول له لكثرة الحجّاج آنذاك، فجلس على كرسي مع جماعة من كبار أهل الشام لينظر إلى الحجّاج وفي هذه الأثناء جاء الإمام زين العابدين علي بن الحسين ليقوم بالحجّ فطاف البيت الحرام ولمّا انتهى إلى الحجر ابتعد الحجّاج عن طريقه حتى يتمكّن من الوصول للحجر، فقال رجل من كبار أهل الشام لهشام بن عبد الملك: من هذا؟ فقال هشام: لا أعرفه وذلك خوفاً من أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق جالساً بينهم فقال: أنا أعرفه ثمّ قال قصيدة "هذا الذي تعرف البطحاء وطأته" التي أغضبت الهشام حتى سجن الفرزدق.

شرح القصيدة

البيت الأول

هَذا الّذي تَعرِفُ البَطْحاءُ وَطْأتَهُ
وَالبَيْتُ يعْرِفُهُ وَالحِلُّ وَالحَرَمُ

الشرح: بدأ الشاعر باسم الإشارة (هذا) للدلالة على أنّ زين العابدين هو شخص مقرّب من الناس ومعروف لديهم، حيث أراد الفرزدق أن يعرّف هشام والموجودين بأنّ زين العابدين هو شخص معروف في مكة المكرمّة ومعروف في مواقع الحِلّ وفي مواقع الإحرام.

البيت الثاني

هذا ابنُ خَيرِ عِبادِ الله كُلّهِمُ
هذا التّقيّ النّقيّ الطّاهِرُ العَلَمُ

الشرح: أراد الشاعر أن يوجّه رسالة قوية لهشام بن عبد الملك بقوله خير عباد الله كلهم، ثمّ وصف زين العابدين بالنّقاء والطهارة والعلم للدلالة على شخصه الكريم.

البيت الثالث

إذ رَأتْهُ قُرَيْشٌ قال قائِلُها:
إلى مَكَارِمِ هذا يَنْتَهِي الكَرَمُ

الشرح: أشار الشاعر أن شهرته وصيته بلغ مبلغا حتى أقرّ قائل من قريش إن الكرم ينتهي إلى مكارمه ودرجاته.

البيت الرابع

يُنمى إلى ذُرْوَةِ العزّ التي قَصُرَتْ
عَن نيلها عرب الإسلام والعجم
الشرح:يوضّح الشاعر في هذا البيت أنّ عظمة مكانة زين العابدين جائت من تمسكه بأخلاق طيبة حتى لا يمكن لأحد سواء كان عرب وعجم أن يبلغ مبلغ عظمته.

البيت الخامس

يَكادُ يُمْسِكُهُ عِرْفانَ رَاحَتِهِ،
رُكْنُ الحَطِيمِ إذا ما جَاءَ يَستَلِمُ
الشرح: يوضّح الشاعر في هذا البيت علاقة زين العابدين ببيت الله الحرام فيقول بأنّ الحطيم وهو ما يحيط بالكعبة المشرفة يعرف من هو زين العابدين.

البيت السادس

بِكَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَبِقٌ،
من كَفّ أرْوَعَ، في عِرْنِينِهِ شمَمُ
الشرح :أراد به الشاعر أن في يديه خيزران أي مجنى الخير ذو رائحة طيّبة يستفيد الناس منها. وهو من أشرف الناس نسبا.

البيت السابع

يُغْضِي حَياءً، وَيُغضَى من مَهابَتِه،
فَمَا يُكَلَّمُ إلاّ حِينَ يَبْتَسِمُ
الشرح: يشير الشاعر في هذه الأبيات إلى قوة شخصية زين العابدين وتأثيره على الآخرين، وبأنّه شخص مُهاب عند الآخرين، كما أنّه دائم الإبتسامة حين الحديث معه.

البيت الثامن

يَنْشَقّ نور الهدى عن نورِ غرّتِهِ
كالشمس تَنجابُ عن إشرَاقِها الظُّلَمُ
الشرح: يصف الشاعر أنه كان جميل الطلعة حسين الوجه ومنور الجبهة حتى شبّهه بالشمس المشرقة التي تنجاب عنها الظلمة.

البيت التاسع

مُشْتَقّةٌ مِنْ رَسُولِ الله نَبْعَتُهُ،
طَابَتْ عناصرهُ والخِيمُ وَالشّيَمُ

الشرح: كان ابن الإمام حسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ أي هو من نسله. فنسبته وطبيعته وأخلاقه طيبة جدا.

البيت العاشر

فلَيْسَ قَوْلُكَ: مَن هذا؟ بضَائرِه
العُرْبُ تَعرِفُ من أنكَرْتَ وَالعَجمُ
الشرح: هنا يوجّه الشاعر رسالة إلى هشام فيقول له بأنّه لا يعيب الإمام زين العابدين إنّكارك له بل هذا أمر يعيب هشام، فليس هناك من عربي ولا أعجمي من لا يعرف من هو زين العابدين.

البيت الحادي عشر

كِلْتا يَدَيْهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفعُهُمَا
يُسْتَوْكَفانِ، وَلا يَعرُوهُما عَدَمُ
الشرح: يواصل الشاعر ذكر الصفات الحسنة عند الإمام زين العابدين، فيشبّه يديه بالغيث الذي ينفع الجميع، دون أن يعتري يديه العدم.

البيت الثاني عشر

سَهْلُ الخَلِيقَةِ، لا تُخشى بَوَادِرُهُ
يَزِينُهُ اثنانِ: حُسنُ الخَلقِ وَالشّيمُ.
الشرح: يصف الشاعر الإمام زين العابدين بأنّه يسهل التعامل معه، وليس لديه ردود فعل حادّة، ويصفه بحسن الخلق.

البيت الثالث عشر

ما قال: لا قطُّ، إلاّ في تَشَهُّدِهِ،
لَوْلا التّشَهّدُ كانَتْ لاءَهُ نَعَمُ
الشرح: يقول الشاعر إن الإمام زين العابدين قد بلغ من الكرم والسخاء أنّه لا يقول لا أبداً إلا في التشهّد وإعلان الوحدانية،

البيت الرابع عشر

عَمَّ البَرِيّةَ بالإحسانِ، فانْقَشَعَتْ
عَنْها الغَياهِبُ والإمْلاقُ والعَدَمُ
الشرح: ثمّ يكمل الشاعر في وصف زين العابدين بأنّه من إحسانه وأخلاقه انتشرت قيم العلم وتراجع الفقر والتخلّف، وفي هذه إشارة على أنّ وجود زين العابدين هو رحمة للناس.